کتاب
مراتب علوم الوهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

قال نفع الله الكافة ببركاته.

الحمد لله منقّح الفهوم، وفاتح مغالق العلوم عن السرّ المكتوم، المنزل في المقام القديم إلى حضرة التعليم بالقدر المعلوم، والقدر المحتوم، فهو الرزق المقسوم، بلسان التفهيم، على قوالب الجسوم، وهياكل الرسوم مساقط النجوم.

فمنها الخالص العميم، ومنها الممزوج بالتسنيم، ومنها ما يصلح للنديم، ومنها ما يودع في الضروع للوليّ الحميم، والنبي الكريم، ومنها ما تحمله النّحل للنظير والقسيم.

أحمده حمد من آمن به وصلّى، وسبق ما صلّى فهو العرش العظيم، والصلاة على المنعوت بالرؤوف الرحيم، والرسول العلام الحكيم، والسلام الطيب المبارك الجسيم وعلى آله في الخصوص والعموم.

اعلم

أيها السالك بالهمّة العليا، ومزاحم الروحانيات العُلَى أن العلوم وإن كثُرت أصنافها بحسب معلوماتها فهي ترجع إلى ضربين:

علوم تنتج

وعلوم لا تنتج

* فالعلم الذي لا ينتج أصلاً فهو العلم بالذات المقدسة، التي تجل وتتعاظم عن الإدراك، بشبكة الأفكار، وشرك العقول والاعتبار. علمنا بها علم عيْن عليه رداءُ صون لا يتمثل فينقال، بل هو التنزيه على الإطلاق. لا يتنزه بالسلوب كما لا يتعين بالإضافات، حجابه الألوهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدركة بالدلائل العقلية، والبراهين الوضعية، فهذا هو الريح العقيم، لا يدل على غير لعدم المناسبة من كل وجه، فهو الواحد بكل معنى. ليس له وجوه، ولا يترتب عليه أحكام، فأحرى أن تقوم به صفة، أو يجري عليه لسان غيب.

* وأمّا العلوم التي تنتج فعلوم الأدلّة. تنتج مدلولاتها. وتلك المدلولات أدلّة يُتَوصّل بها إلى مدلولات أُخر. هكذا صاعداً إلى العلم بالإله من كونه إلهاً، لا من كونه ذاتاً، فيصير هذا العلم أيضاً دليلاً على العلم بأسرار الكون، التي لا تستقل العقول بإدراكها، وربما لا تخطر على فكرها، وإن لم تزل عن أحكامها، وإنها من قبيل الإمكان. ولكن لا ينتج هذا العلم الإلهي شيئاً، ولا يكون دليلاً أبداً حتى يكون للعالم به لساناً، وسمعاً، وبصراً، ويداً، ورجلاً، ومعنى، ورسماً، فيكون العالم به كأنه هو وما هو هو. ومهما لم يتحقق العبد بهذا المقام، فأنّى له بدرك الحقائق. والعوائق موانع، والعلائق دوافع. فنسأل الله أن يجعل لنا كل عائقة دليلاً، وكل علاقة برهاناً. ولا يقطعها عنّا قبل معرفتنا بوجه الحق منها، فنكون من الجاهلين.

والطريق إلى هذه الحالة ملازمة نوافل الخيرات مطلقاً كما قال تعالى في الخبر الصحيح، باللسان المترجم الفصيح:

«ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...» الحديث بكماله.

هذا ما تُعطيه محبة النوافل المبنيّة على عبودية الاختيار. فانظر مع هذا الحجاب ما أنتج له من الأسرار، وما تجلى له من خالص الأنوار، فكيف ما تعطيه محبة الفرائض وعبودية الاضطرار. هم أهل السُّبُحات المحرقة، والمقامات المحققة، هم عكس المقام الأول، وفي صورتهم يكون التنزل، فهم سمع الحق الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي يتكلم به، فيهم يسمع، وبهم يبصر، وبهم يبطش إلى غير ذلك، هذا لسان الخصوص، كما هو لسان العموم في حقه، فيهم يمطر، وبهم يرزق، وبهم ينصر. فهذا مدرك الإيمان وذلك مدرك العيان، فلا أمر يتردد بين الردا والمرتدى فيظهر هذا بصورة هذا ويظهر هذا بصورة هذا دوراً مقدساً مُنَزَّهاً حقيقة في مقامها لا تختل ولا ينحلُّ نظامها. لكن ليست بالغاية فإنها نتائج التكليف. والغاية لا تنال بالسعايات، وقد تقدم ذكرها، فهذه علوم الإنتاج.

وهي تنقسم إلى أقسام جاءت بها الأمثلة القرآنية، والتشبيهات الفرقانية بلسان النور، فتقررت في الصدور المشروحة، والقلوب المفتّحة أبوابها، فإذا نزلت هذه العلوم في الصورة المائية. فإذا كان الماء خالصاً فهو العلم العقيم[1].

---

(١) على هامش النسخة المخطوطة كتب الآتي: (حاشية مشروب الماء).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإن كان ممتزجاً أو خالصاً بعد المزج بما طرأ عليه التردد في أطوار الاستحالات فإنه ينتج. فإن كان من الخالص بعد المزج؛ فإنه العلم بالإعادة والنشأة الآخرة، وتمييز طبقات ذلك العالم، كل طبقة على انفرادها مخلصة من المزج والتداخل. فلا يظهر الكافر في صورة المؤمن ولا المؤمن في صورة الكافر، ولا السعيد في صورة الشقي، ولا الشقي في صورة السعيد، ولا الكلب في صورة الإنسان ولا الإنسان في صورة الكلب. بل الكلب كلباً، والإنسان إنساناً ويزول حكم الأوصاف العرضية وتبقى الصفات الذاتية اللازمة متميزة، لا تمتزج بعد بأمرٍ، ولا تظهر في صورة عرضية أبداً، بل يتردد في ذاتها بين لوازمها منها إليها بما عليها في ذاته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً أبدالاً بدين لا يتناهى أمدها ولا ينقضي أبدها نعيم محقق وعذاب مطلق، ولا تلتبس الصور على ناظرها ولا يحجب أولها بآخرها. قد ظهرت في العين فلا تبدّل ولا تحويل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

وإن كان من الماء الممزوج[1] بمياه الأنهار والعيون بعد التخليص، فإنه يعطيك العلم بتنزل المعاني الروحانية، المنشأة من القوالب الجسمانية، وهي اللطائف الإنسانية والحيوانية، والملائكة المخلوقون من الأنفاس، فستعرف مراتب هذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام، وكيفية تعلقها بتدبيره، والنظر إليها وكيفية قبضها عنها، وأنه ليس قبضاً كلّياً. فإنه لا يصح أن يكون قبضاً كلياً، فإنه نتيجته. فالرابط يمنع من القبض الكلّي، ولهذا تكون الإعادة فيها المُعبَّر عنها بالحشر والنشر بذلك الأمر الرابط. ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مَدّ الظل**﴾[2]

تسوية إلهية. ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه دليلا**﴾[3]

نفخة روحانية. ﴿**ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً**﴾[4].

ولم يقل كلياً، ولا يصح فيه القبض الكلي، كما ذكرناه. فإن نشأته تعطي ذلك. فلا بدّ من ظل الأم السُفلية. فهو النور من حيث أبيه. وهو الظل من حيث أمّه. فهو الممزوج في ذاته تخليصه. عرضي فلا يثبت إنما هي لوائح، وهجوم، وحالات فناء عن هذه الجسوم، ثم يرجع العود على البدء، ويخرج المخبوء من الخبء، وقد يقبضه قبضاً أقل من ذلك، وهو قبض النوم، فينزهه في عالمه. وهو أوائل الوحي النبوي بها بدىء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبها كان أمر الذبح من إبراهيم الخليل (صلوات الله عليه).

---

(١) على هامش أيمن النسخة المخطوطة كتب الآتي: (حاشية الماء الممتزج).

(٢) الآية رقم (٤٥) من سورة الفرقان.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) الآية رقم (٤٦) من سورة الفرقان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقبض الأعظم هو قبض الفناء المطلق. فيفنى عن ذاته، فيفنى عن ظِلّه. فيتحقق بالحق للحق في الحق لكنه في ذاته على ظله من حيث ذاته، لا من حيث مشهده فلا يقيم إلاّ قليلاً، ويسرع بالرجعة إلى قصره، وقسره. فبذلك الضرب من العلم المتنزل في صورة المزج إذا شربه حصل له معرفة هذا النوع من الوجود.

فإن كان من الماء المنبعث من الأرض[1]، كالعيون، وشربه فحظُّه من صور العلوم علم الطبيعة وكيفيتها، ولماذا ترجع؟ وهل هي حقيقة في نفسها غير معلولة لعلة، أو هي معلولة لعلة معلولة؟ وأين مرتبتها؟ وما سبب ظهورها؟ وهل يتقيّد أول ظهورها بالزمان أم لا؟

إن ثبت أن لظهورها أوّلية، قد ثبت عندنا ظهور الأولية، وحدوثها وحدوث كل ما سوى الله، ومعرفتها عندنا من أعز العلوم والمعارف فإنها من علوم مبادىء الكون. ومن شرب هذا الماء يعرف لماذا تعلق الكون والفساد للكون بدار الدنيا، ولم يتعلق بالدار الأخرى مع وجودها فيه. وما النوع من الفساد الذي يتعلق بالدار الأخرى في عالم كونها عند أكلك مطعوماتها واستحالتها عرقاً طيّباً يخرج من الأبدان، وما السبب الموجب لطيب العرق في الجنّة، وخبثه في أهل النار، ومزجه هنا فيظهر الخبيث على السعيد، والطيب على الشقي، وذلك لاختصاص المزاج. فإذا طلب السعيد هناك الحامل للخبيث هنا. فتعرف أن عين ذلك المزاج ليس هناك ولكنه مزاج آخر. وقد يكون عَرَضيّاً لأخلاطٍ فاسدة تتولد وتزول بزوالها. فيرجع المزاج الخبيث على الطيب هنا إلى الخبيث هناك فتكون فيه إعادته، ويرجع المزج الطيّب هنا على الخبيث هنا إلى الطيب هناك. ويبقى المزج الخبيث هنا في الخبيث هنا عليه هناك، وكذلك الطيب. لكن يزيد هذا خبثاً، وهذا طيباً من أجل ما يقتضيه موطن الجنّة، وموطن النار. فإنها على تركيب مخصوص يعطي طبعاً مخصوصاً. فبمثل هذا الضرب من العلوم يتعلق شارب مثل هذا الماء في عالم التمثّل عند المعراج الروحاني.

وإن كان المشروب لبناً[2]. فإنها علوم الفطرة، ولهذا هو أول ما يشق معيّ المرضعات، فيعلم علوم الرسوم والأحكام المشروعة ومن أين صدرت؟ وما حضرتها؟ وإلى أين ترجع؟

ومن هذا العلم تقف كشفاً واطّلاعاً على مقامات الرسل، واختلاف الشرائع في الأحكام واجتماعها في الأصول، وإن الدين واحد، وإن اختلفت أوضاعه ولغاته باختلاف الأعصار

---

(١) في النسخة المخطوطة أيسر الهامش كتب الآتي: (حاشية الماء المنبعث من الأرض).

(٢) كتب أيمن النسخة المخطوطة: (حاشية مشروب اللبن).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأماكن، وما يثمر في النفوس استعماله في عالم النفوس والأجسام، وما يثمر الإيمان وإن لم يستعمل وما يثمر الكفر به، وردُّه، وما يثمر جحده بعد المعرفة. وهل تنزلت الشرائع بما تقتضيها الحقائق. وهل تنزلت بالحقيقة والمجاز ولما جاءت بصورة مما تُوطئ عليه من الخطاب والألفاظ، وهل لها أن تضع لساناً آخر في العالم أمْ لا؟

وهل تحتاج الرسالة، إذا كانت عامة لجميع الناس كافة، إلى معرفة جميع اللغات، أو تحتاج إلى رسول بلسان قوم ليسوا من صنفه فيحتاج أن يكون رسول الرسول معصوماً كالرسول. ولا بدّ فيما يُبَلِّغ. ثم إذا عرف الرسول جميع اللغات هل من ضرورته أن يتكلم بها مع أهلها أو يسترها عنهم ويخاطبه الترجمان، فتندفع النفوس بين يديه بما هي عليه. ولا تتقيد فيظهر الرسول ما تخفيه صدورهم على ألسنتهم وهم لا يشعرون، ويعرف من هذا الشرب استخراج العلوم الكسبية بالمجاهدات والأعمال والرياضات، وما تستقل العلوم بإدراكه منها. وما لا تستقل بإدراكه، مما هو موقوف على الذوق، والكشف، والوهب، ولا سبيل إلى قبول النفس له إلاّ من هذا الطريق، ويعلم بشرب هذا النوع تنزُّل الروحانيات الأمناء بها على قلوب الأنبياء، وعلى ظواهرهم في الصور الحسية، ويعرف كونها مفيدة بصورة مخصوصة لأيّة حكمة تقيدت تلك الروحانية بتلك الصورة لهذا الرسول في الحس كصورة جبريل في «دحية الكلبي». الذي كان أجهل أهل زمانه وأحسنهم صورة. فكان جبريل ينزل عليه فيها إشعاراً من الحق سبحانه إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) وإعلاماً له أنه ما بيني وبينك يا محمد إلاّ صورة الحُسْن والجمال، وهي التي لك عندي، فتكون بُشْرى له حسّاً ولا سيّما إن أتى بأمور الوعيد والزجر، فتكون تلك الصورة تسكّن منه ومن جأشه ما يحركه قهر ذلك التنزل فتعرف هذا العلم كله، وما القدر الذي يتنزّل من ذلك على قلوب الأولياء الذين لم يرسلوا وأين يجتمع الرسول والوليّ، ومعرفة مرتبته هناك (صلى الله عليه وسلم). وتميزها عن مرتبة غيره من المشاركين له في البساط. فهو الولي الكامل، والعارف المحقق والمقرب المتمكن، وإن أرسل إلى الأكوان فهو من حيث رسالته مقرب باللسان والنيابة والحجابة من حيث ولايته، ومعرفته بالذات والحقيقة. فالمكلفون يشهدون التقريب بحقائق الإيمان إذا آمنوا، ولو جحدوا ونحن نشهد التقريب بحقائق العيان ولو نزل إلى الأكوان فمرتبته معينة مميزة فتعرفه بها في كل موطن فتعظيمه في نفوسنا أشد تعظيم.

انظر لمن آنس هذا منه (صلى الله عليه وسلم) حين قال آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر، فقطع بإيمانهم لتحققهم عنده بأنهم من أهل العيان له هناك، وأمثال هذه العلوم تنتجها ألبان الضروع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأمّا إن كان المشروب عسلاً[1]. فإنه يعطيه معرفة الشرائع الحكمية والرهبانية المبتدعة، وما يقتضيه دورات هذه الأفلاك وتسيير هذه السيارة وترحّلها وحركات منازلها من الأوضاع الإلهية والأسرار الحكمية التي أودع الله تعالى في هذه الحركات واستشراف بعض النفوس عليها الفاصلة إذا تسدد نظرهم، وعصمت أفكارهم، وارتقوا عن حضيض الخيال إلى أوج المعاني العقلية والأمور الروحانية السماوية مجردة عن موادها غير ملتفتة إلى أجسادها فتعرف هذه النفوس وجوهها على التجريد، ثم تطّلع على دقائقها الخفية التي بها يقع المدُّ لهذا العالم الكوني، فتميز الرقائق. ثم تنزل عليها بعيون بصائرها إلى هذا العالم فتعرف المكان والمزاج والوضع. فتلقي من الأحكام في العالم على ما يعطيه القبول لا غير. فإنها ليست مؤيدة بالفيض الإلهيّ فتقصر عن تلك القوة فيكون إلقاءً نسبياً تقبله النفوس بالنسبة الرابطة بخلاف الشرع الحكمي المؤيد بالأمور الإلهية. فيقيم المعجزات ويخاطب القاصي، والدّاني. والبعيد والقريب. ويشرع من الأحكام ما يخالف أكثر الأغراض، وما تجهل حكمته، وما لا تستقل العقول بإدراك معناه. وبهذا يتميز عن الشرع الحكمي، والرهبانية المبتدعة، ولكن قدم رعاها الشارع وأبان عنها الحق، وذمّ من شرعها ولم يرْعها وهذا تقرير عجيب لها، ومن هذا الشرب تكون علوم الإلهام الواضحة البيان، وتظهر على النفوس آثار محرقة، يُعَبَّر بها عندنا بالاصطلام. وهو الوله الغالب على القلب.

وأمّا إن كان المشروب خمراً[2] فإنه يعطي علوم الأحوال العجيبة، وهو كان مشروب العلاج بحمد الله. وهو دون الرتبة من هذه المراتب، ومن هذا الشرب يعلم ضروب التجليات، وما تعطيه من الآثار في النفوس الإنسانية وغيره. ولصاحبها جولان في عالم التركيب، بعلم التصريف والتسخير، وتكون له قوة الكشف مستصحبة، يعرف مواقع التقدير فيبادر إليها، وإن كانت مخالفة لما هو عليه طريق الترقي فلا يحجب بإتيانها، والوقوع فيها، فإنه وقع عن بصيرة؛ وهذا هو سر السريرة فإذا امتزج بعض هذه المشروبات ببعض فإنه يعطي من العلوم ما يعطيه المشروبان، وما يعطيه المزج فإنه يعطي ذوقاً آخر يعرفه شاربه، ولولا ضيق الوقت، وطلب الايجاز وما مهدناه مما يستدل به على ما تركناه لذكرنا ذلك مفصّلاً.

وهذه علوم الوهب مسرودة، كما شاهدناها بعدما أقمنا الصلوات، ورمينا الجمار، ونحرنا القربان، وربح الأحباب، وخسر الأعداء، الذين هم على قلوب الذئاب. وانقطعت آثارهم عن العالم العلويّ والمشهد السني، فهم أعداء هذه الطريقة والمحجوبون عن عالم الحقيقة.

---

(١) (حاشية مشروب العسل) هكذا كُتب على هامش النسخة المخطوطة.

(٢) كتب بالهامش الأيمن للنسخة المخطوطة: (حاشية مشروب العسل).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وللربوبية على أصحاب هذه المشارب سلطان في أوقات سلوكهم، ولها إليهم نظر في حين معارجهم. فإذا وصلوا إليها ونزلوا عليها أكرمت مثواهم ورفعتهم على نُجب العناية إلى حضرة الإنيّة المحققة، وهي التي تهبهم هذه المشروبات. فالمعطي واحد، والمُعْطى مختلف. والمعطى له على حقيقة مخصوصة فيشرب شرباً مخصوصاً على قدره، فيعرف من ذلك على قدر معلوم فهو الرزق المقسوم في أصل النشأة وبدء الخلقة. جعلنا الله وإياكم مِمّن سلك فوصل، ونزل، وشرب، وعصم من سكر الأحوال، والتحق بالرجال، إنه المليّ بذلك والقادر عليه، انتهى المقدّر من هذا المنزل من الفتوحات المكية والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله أجمعين.

كتب من أصل مقابل على أصل قُرىء على المؤلف، رضي الله عنه،

وقوبل عليه فصح بقدر الطاقة، والحمد لله وحده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com